توظيف التراث بأدب الأطفال
في ظل الجمهورية الجديدة

د. نورا عبد العظيم

باحثة بمركز تحقيق التراث،

دار الكتب والوثائق القومية

من المعروف أن الطفل هو ذخيرة المستقبل ورجل الغد وأمل الأوطان؛ لذا لا بد من إحاطة الأطفال بعناية خاصة، خصوصًا في مجال التراث الذي له دورٌ فعالٌ في بناء شخصية الطفل؛ فهو الذي يكسبه هويته ويميزه، ويدعم انتسابه للوطن، والأسرة هي اللبنة الأولى في تشكيل وعي الطفل، ذلك قيل: إن التعليم في الصغر كالنقش في الحجر، وقيل أيضًا: من شَبَّ على شيء شَابَ عليه، وتتضمن خطة التنمية المستدامة ٢٠٣٠ مجموعة من الأهداف المترابطة والمعاضدة، وللمرة الأولى على الإطلاق يُعترف بكرامة الأطفال وبحقهم في العيش، وفي مأمنٍ من العنف ومن الخوف؛ باعتبار ذلك أولية متميزة في خطة التنمية الدولية، وسيساعد تحقيق الأهداف، ولا سيما تلك المتعلقة بالتعليم والصحة والمساواة بين الجنسين وعمالة الأطفال، وللتفكير في أهمية الحماية، وفي ما تتسم به من طابع استعجالي دعا الأطفال أنفسهم إلى إدراج التخلص من العنف بشكلٍ صريحٍ في الخطة الجديدة، وشددوا على أن مكافحة العنف تتقاطع مع العديد من الأهداف والغايات، ولكن يلزم أيضًا أن يُنظَر إليها باعتبارها أولوية قائمة بذاتها؛ لذا فمن الضروري توعية الأطفال، وتعريفهم بالتراث، عن طريق تبسيطه إليهم، وشرحه في صورة تكون جاذبة لمداركهم.

وتوظيف التراث في أدب الأطفال يعني استحضار فتراتٍ محددة من التاريخ، سواء من خلال مواقف أو حوادث أو شخصياتٍ تاريخية كان لها أثر واضح في الحضارة، أو استلهام قصصٍ وحكاياتٍ ونوادر عن المنشآت التاريخية والأثرية، مع انتقاء ما هو مناسب للطفولة، واختيار النماذج التي تستحق أن تكون مثلًا وقدوة للأطفال، كالعلماء الذين أثروا الحضارة الإسلامية بإنجازاتهم العملية، ثم العمل على إعادة صياغتها وتحويلها إلى قصصٍ ومسرحياتٍ مبسطة، وكسائها لونًا يتناسب وروح العصر الذي يعيشه الطفل. وينجذب الأطفال بشكلٍ كبيرٍ نحو الأعمال التي تتخذ طابعًا تراثيًا، فمن الممكن تبسيط المادة التراثية على شكل حكاية، فمثلًا أن نعرِّف الأطفال بشخصية تاريخية مهمة، ونجعلها تتحدث عن نفسها، وعن مولدها ونشأتها وإنجازاتها، مع استعراض لنماذج من إبداعاتها وأعمالها بشكلٍ مبسطٍ ومناسب، وكذلك الحال عند التعريف بمنشأة تاريخية.

ويعتبر التاريخ أكثر الأجناس الأدبية طواعية لاستثمار التراث، وأكثرها مقدرة على استلهامه، وتكمن أهداف التوظيف في أن يطّلع الأطفال على تراثهم، وأن يتعرَّفوا على الشخصيات المهمة في تاريخ أمتهم، كما يهدف إلى غَرْس القيم والمثل في نفوسهم، حيث تترسخ في الأذهان من خلال العبرة التاريخية، بالإضافة إلى توسيع آفاق معارفهم، وإكسابهم الخيال الخصب.

وعملية توظيف التراث تحتاج إلى شروطٍ معَّينة لتحقِّق أهدافها، وأهم عنصرين للتعامل مع التراث: الرؤية الجديدة، واللغة الجديدة؛ فالرؤية الجديدة تعني الحاضر وتبعث الحياة فيه، واللغة الجديدة هي الوسيلة التي تجعل من

هذا الماضي البعيد شيئًا قريبًا إلينا ومألوفًا منا، إذًا لا بد لنجاح عملية التوظيف من قراءة التراث قراءة جيدة، وفهمه فهمًا سليمًا، وتقديمه برؤى جديدة يستطيع التأثير في المستقبل وتغيره نحو الأفضل، أي: قراءة معاصرة للتاريخ ضمن معادلةٍ دقيقة، ومزجٍ ساحر بين الأصالة والمعاصرة، وهذا لا يعني التغيير في صلب الموضوع أو تحويله عن حقيقته، بل عملية منظّمة ومدروسة يُستوحى منها ما يخدم الحاضر والمستقبل، دون الإساءة إلى الماضي.

وفيما يلي عرض لنماذج تبسيطية لتوظيف التراث في أدب الأطفال

فمثلًا عند شرحي لمجموعة من الأطفال تعريف معني التراث، فأبدأ الشرح بحكايةٍ على شكل قصة، لها أبطال تكون جاذبة؛ لتصل بسرعة إليهم، فتكون عن طريق أسئلة تطرح عليهم على النحو التالي:

- ماما نونو: صباح الخير حبايبي.
- عمر: صباح الخير ماما نونو.
- ياسين: صباح الخير ماما نونو وعدتنا تحكي لنا اليوم حكاية التراث.
- ماما نونو: نعم يا ياسين سوف أحكي لكم حكاية التراث.
- عمر: ما هو تعريف التراث؟.
- ماما نونو: التراث يا عمرهو الإرث أو الميراث، وهو كل ما خلفه السلف (الأجداد والآباء) من آثار علمية وأدبية وفنية.
- ياسين: هل يوجد أنواع للتراث؟.
- ماما نونو: نعم، يوجد ثلاثة أنواع للتراث.
- عمر: ماما نونو ممكن تعرفنا الثلاثة أنواع ما هم.

- ماما نونو: حاضر يا عمر، النوع الأول التراث المادي الثابت، والنوع الثاني التراث المادي المنقول، والنوع الثالث التراث اللا مادي.
- ياسين: وما هو التراث المادي الثابت؟.
- ماما نونو: هو كل شيءٍ ملموسٍ وثابت مكانه، يتمثل في المعالم والمواقع الأثرية ذات الطابع المدني، مثل: (البيوت، والقصور)، والديني مثل: (المعابد، والكنائس، والمساجد)، والعسكري: (القلاع، والحصون).
- عمر: وما هو التراث المادي المنقول؟.
- ماما نونو: هو كل شيء ملموس يمكن نقله من مكان إلي مكان آخر، مثل القطع الأثرية المنقولة، والتحف الفنية الناتجة عن الاستكشافات الأثرية، والتي توضع في المتاحف بهدف الحفاظ عليها.
- ياسين: وما هو التراث اللا مادي؟.
- ماما نونو: هو كل شيء غير ملموسٍ يتمثل في الموارد الثقافية المتمثلة في الآراء، والعادات والتقاليد المتنقلة من جيلٍ إلى جيلٍ.
- عمر: ماما نونو، ما هي أهمية التراث؟.
- ماما نونو: التراث يعطي للشعب هويته الخاصة التي تميزه عن غيره من الشعوب، والتي بدورها تضعه في مصاف الشعوب التاريخية التي لها تاريخ عريق.
- ياسين: وماذا عن أهميته أيضًا؟.
- ماما نونو: يساهم بصورة كبيرة في تراكم المعرفة، خاصة ما وُرِث من العلوم، فهو إرثٌ عظيمٌ ليس لشعبٍ من الشعوب فقط، بل للإنسانية جمعاء.
- عمر: هل للتراث أهمية أخري؟.

- ماما نونو: نعم، التراث هو المحدد الأول والأخير لثقافة الشعوب.
- ياسين: هل توجد أهمية أخري للتراث؟.
- ماما نونو: نعم، التراث هو أساس الحضارة، فالحضارة لا تعني إطلاقا أن التراث يعوق عجلة التقدم، فالعديد من الأمم تعد في الصفوف الأولي عالميًا مع احتفاظها بتراثها العريق.
- عمر: شكرًا ماما نونو على هذه المعلومات.
- ياسين: استفدت كثيرًا من تعريف التراث، وأهميته.
- ماما نونو: حبايبي سعدت بوجودي معكم في حكاية التراث.

ويصحب ذلك عدد من الوسائل التوضيحية، مثل عرض بور بوينت يتضمن الصور التي تمثل التراث أنواع التراث المختلفة، فعند الحديث مثلًا عن التراث المادي الثابت تعرض صور تمثله، فيتم عرض صورة، ولتكن لمسجد أثري، أو بيت، أو قصر، أو غير ذلك من النماذج التي تُعد شاهد عيان للتراث المادي الثابت، **وليكن هذا النموذج:**

(بيت السيحمي)

(قصر محمد علي)

كذلك الحال عند الحديث عن التراث المادي المنقول، فيتم عرض نماذج له من خلال عرض البور بوينت، وذلك عن طريق عرض صور تمثل التراث المادي المنقول، مثل: صور العملات، والأسلحة الأثرية، والمومياوات، والمسلات، والحلي، والألبسة، وغير ذلك من النماذج التي تصلح أن تكون نموذجًا للتراث المادي المنقول، **وفيما يلي عرض لبعض هذه النماذج:**

(العملات الأثرية)

(الألبسة الأثرية)

(الحلي)

(المخطوطات)

كذلك الحال عند الحديث عن التراث اللا مادي عرض نماذج له من خلال عرض البور بوينت، وذلك عن طريق عرض صور تمثل مظاهر الاحتفالات المختلفة، وأيضًا عرض صور لنماذج من مظاهر الاحتفالات المختلفة، وصور القصص التي توارثناها عن طريق الحكي، **وفيما يلي عرض لبعض النماذج:**

(مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي الشريف)

(مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد المجيد)

(الحواديت والحكايات)

وهذا نموذج آخر لتبسيط التراث، وشرح مبسط لمجمع الأديان، والرسالة التي أُسِّس من أجلها، فيكون أيضًا عن طريق عرض قصة وإعطاء نبذة تاريخية مبسطة عن أهم المعالم التراثية الموجودة بداخله فتبدأ القصة بسؤال وجواب:

- ماما نونو: صباح الخير حبايبي!.
- عمر: صباح الخير ماما نونو.
- ياسين: صباح الخير ماما نونو، وعدتنا تحكي لنا عن التراث المادي الثابت، من خلال رحلة لمجمع الأديان.
- ماما نونو: نعم يا ياسين، سوف أحكي لكم عن التراث المادي الثابت في أثناء رحلتنا لمجمع الأديان.
- ولكن دعوني أسالكم ما هو التراث المادي الثابت؟.
- عمر وياسين معًا: هو كل شيءٍ ملموسٍ وثابتٍ مكانه، يتمثل في المعالم والمواقع الأثرية ذات الطابع المدني مثل: (البيوت، والقصور)، والديني، مثل: (المعابد، والكنائس، والمساجد)، والعسكري: (القلاع، والحصون).
- عمر: أين يوجد مجمع الأديان؟.
- ماما نونو: في مصر القديمة.
- ياسين: لماذا سمي مجمع الأديان بهذا الاسم؟.
- ماما نونو: لأنه يجمع الديانات السماوية الثلاثة: اليهودية، والمسيحية، والإسلامية.
- عمر: ماما نونو، ما أول شيء ممكن نراه في مجمع الأديان.
- ماما نونو: جامع عمرو بن العاص.
- ياسين: متى أسس جامع عمرو بن العاص؟.
- ماما نونو: أسسه عمرو بن العاص بعدما أتم فتح مصر.
- عمر: وما الذي ممكن أن نشاهده أيضًا في مجمع الأديان؟.
- ماما نونو: حصن بابليون.

- ياسين: ممكن تعرفنا أكثر عن حصن بابليون؟.
- ماما نونو: أمر ببنائه الإمبراطور الروماني تراجان في القرن الثاني الميلادي ويُعرَف باسم قصر الشمع.
- عمر: ماما نونو، لماذا سمي بقصر الشمع؟.
- ماما نونو: لأنه في أول كل شهر كان يوقد الشمع علي أحد أبراج الحصن التي تظهر عليها الشمس، ويعلم الناس بوقود الشمع بانتقال الشمس من برج إلى آخر.
- ياسين: وما الذي ممكن أن نراه في أيضًا في مجمع الأديان؟.
- ماما نونو: معبد بِن عزرا.
- عمر: ممكن تحكي لنا حكاية معبد بِن عزرا؟.
- ماما نونو: يعتبر واحد من أكبر وأهم المعابد اليهودية الموجودة في مصر كان في الأساس كنيسة تُسمى كنيسة الشماعين، وقد باعتها الكنيسة الأرثوذكسية للطائفة اليهودية عندما مرت بضائقة مالية نتيجة لزيادة الضرائب وقتها.
- ياسين: لماذا سُمي بهذا الاسم؟.
- ماما نونو: سُمي هذا المعبد نسبة إلي عزرا، الكاتب أحد أجلاء أحبار اليهود، ويُعرف أحيانًا بمعبد الفلسطينيين أو معبد الشوام، ويُعرف اليوم بمعبد الجنيزا، نسبة لمجموعة وثائق الجنيزا الشهيرة التي وجِدت به.
- عمر: ماذا يوجد أيضًا في مجمع الأديان؟.
- ماما نونو: الكنيسة المعلقة.
- ياسين: ممكن تحكي لنا حكاية الكنيسة المعلقة؟.

- ماما نونو: من أهم المزارات الدينية التي تمثل التراث القبطي في العاصمة المصرية القاهرة، بُنيت أول القرن الثالث، سُمِّيَت بذلك؛ لأنها بنِيت على بُرجين من الأبراج القديمة لحصن بابليون.
- عمر: ماذا يوجد أيضًا في مجمع الأديان؟.
- ماما نونو: كنيسة أبي سرجة.
- ياسين: ممكن تحكي لنا حكاية هذه الكنيسة؟.
- ماما نونو: هي الكنيسة الأثرية المُشيدة فوق المكان الذي أقامت فيه العائلة المقدسة أثناء رحلة الهروب، وبها مغارة الهروب عند الهيكل.
- عمر: لماذا سميت بهذا الاسم؟.
- ماما نونو: سُميت بهذا الاسم نسبة لاستشهاد القديسين سرجيوس وواخوس الجنديان بالجيش الروماني في القرن الرابع الميلادي؛ دفاعًا عن عقيدتهما المسيحية، واستصعب المصريون في العصور الإسلامية فيما بعد كلمة واخوس واستبدلوها بها (أبو) كما حولوا (سرجيوس) إلى سرجة؛ لتكون سهلة النطق، فعُرفت بـ (أبي سرجة).
- ياسين: شكرًا ماما نونو على هذه المعلومات.
- عمر: استفدت كثيرًا من رحلة مجمع الأديان.
- ماما نونو: حبايبي، سعدت بوجودي معكم، وفي نهاية رحلتنا ضروري أؤكد لكم عن شيءٍ مهم جدًا يرمز له مجمع الأديان، ويؤكد عليها، وهي أن الدين لله والوطن للجميع.

- ويصحب ذلك عدد من الوسائل التوضيحية، مثل عرض بور بوينت يتضمن أهم الصور التي تمثل التراث الخاص بمجمع الأديان، **وفيما يلي نماذج لتلك المعالم التراثية المهمة:**

(جامع عمرو بن العاص)

(حصن بابليون)

(معبد بن عزرا)

(الكنسية المعلقة)

(كنيسة أبي سرجة)

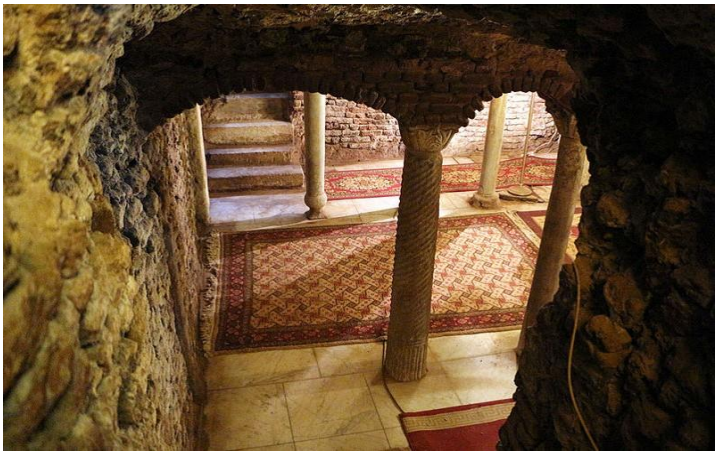

(مغارة العائلة المقدسة)

كذلك الحال عند الحديث عن شخصية تراثية، كعالِمٍ من علماء الحضارة الإسلامية، فلا بد في البداية التمهيد بأن الحضارة الإسلامية زخرت بالعديد من العلماء الذين نبغوا في مجالات العلوم المختلفة، مثل: الطب، والفلك، والكيمياء، والزراعة، وغيرها من العلوم التي أثرت الحضارة الإسلامية بالعديد من الاكتشافات، ونبدأ بالتعريف بعالِم من هؤلاء العلماء، مثل العالم ابن بصال، **فتأتي الحكاية والسيناريو كالآتي:**

- مَن هو العالم ابن بصال؟

- هو الحاج أبو عبد الله إبراهيم الطليطلي رائد علم الزراعة، والذي اشتهر بلقب ابن البصال نسبة إلى اشتغاله الكثير بزراعة البصل.. ولِد في مدينة طليطلة في إشبيلية جنوب إسبانيا.

(مدينة طليطلة)

وكان من أوائل مَن ألَّف في الفلاحة، ومارسها في بلدته طليطلة عمليًا ونظريًا؛ إذ كان ينتقل من الدراسة النظرية إلى العمل التجريبي، فاعتنى ببستان المأمون بن ذي النون أمير طليطلة، واستطاع أن يزرع الرمان والتين في أي وقت من السنة، وكان اهتمامه بالغًا بزراعة الرياحين كالورد والبنفسج والسوسن.. وتلك كانت من أهم السمات المميزة لبستان المأمون.

(مزارع الرمان)

(زهور البنفسج)

- بما تميَّزَ ابن بصال عن غيره؟

وصلت مهارته إلى تشكيل أحواض الزهور، بحيث تمثل طاقات من الأزهار الجميلة. كما أنه قام بالعديد من الرحلات العلمية، وكان خلال رحلاته يقوم بدراسة البيئات الزراعية المختلفة للنباتات، فاهتم بدراسة طبيعة التربة وأنواعها، ودرس طبيعة الأسمدة عليها؛ إذ استخدم أنواعًا مختلفة من الأسمدة منها الصناعي المتخذ من الأوراق الجافة والأعشاب اليابسة، كما أنه حذَّر من السماد المُتخذ من زبل الخنازير والطيور المائية؛ إذ وجده مُضرًا بالمزروعات.

- ما الذي يؤكد نبوغ العالم ابن بصال؟

يؤكد نبوغه العلمي أنه كان يدرس خصائص كل نوعٍ، ومدى تفاعله مع كل نوعٍ من الأراضي وكل نوع من المزروعات، كذلك أجري العديد من الدراسات على أنواع المياه، وعلاقتها بالتربة، وقسَّم مياه التربة إلى مياه أمطار وأنهار وعيون وآبار، وتوصل إلى أن ماء العيون يتقلب مع الفصول فيكون عند شدة البرد دافئًا وعند شدة الحر باردًا فينفع النبات، ويرجع إليه الفضل في التمييز بين علم الصيدلة الذي يعتمد على الأعشاب وعلم الفلاحة.

- ما أشهر مؤلفاته؟

يُعد مؤلفه (كتاب الفلاحة) نموذجًا لكتب الزراعة، وقد اعتمد عليه العديد من علماء الفلاحة.

وختامًا

أرجو أن أكون قد وفقت في عرض رؤيتي لمسألة توظيف التراث للنشء في ضوء استراتيجيات ٢٠٣٠م في ظل الجمهورية الجديدة، خصوصًا

في ظل الغزو الثقافي الممنهج من قِبل وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة التي أثرت بالسلب على ثقافة النشء، والتي من الممكن أن تؤدي إلى طمس هويتهم، في ظل غياب التواصل معهم، تلك الخطورة التي تكمن في كونه يستهدف مسخ الثقافات المحلية، التي هي الصورة المعنوية للأمة بكل خصائصها الفكرية، وتصوراتها العقدية، وسلوكياتها الاجتماعية، وموروثها الحضاري، وفرض كل ما هو دخيل عليه بالاختراق وتحسين التكيف معه لهم؛ بقصد إعدادهم لتقبله كبديلٍ عصري تتطلبه ضرورات الحداثة.

لذلك فإن الأمر يتطلب الانتباه الدائم إلي مخاطر العولمة، وفضح أساليب الغزو الثقافي، من خلال ترسيخ ثوابت الخصوصيات الثقافية المحلية، ومحاربة محاولات طمس الهوية؛ وذلك بزرْع القيم والمبادئ في نفوس النشء، من خلال التنشئة الأسرية والمجتمعية السليمة، ونشر الوعي الثقافي عن طريق التعريف بالتراث والتاريخ والحضارة، من خلال المدارس أو المتطوعين الذين يحملون على أعناقهم مهمة نشر التراث للنشء وتبسيطه؛ من أجل نشأة مواطن صالح محب لوطنه ومحافظ على هويته.

فالجمهورية الجديدة لا تعني مطلقًا الاهتمام بتطوير المباني والجدران فقط، وإنما كذلك بتنمية البشر والإنسان فبناء البشر قبل الحجر، فالدولة تنظر للنشء باعتبارهم جزءًا رئيسًا من المجتمع، ومكونًا مهمًا للثروة البشرية الهائلة التي يتمتع بها المجتمع، وتسعى الدولة لتعظيم الاستفادة منها في إطار التوجه الأوسع بالاستثمار في البشر، كما أن الأجندة الوطنية للتنمية المستدامة (رؤية مصر ٢٠٣٠)، تضمنت عددًا من السياسات التنموية لهذه الفئة؛ لذا أشيد

بمبادرة السيد رئيس الجمهورية عبد الفتاح السيسي بحشد الطاقات الإبداعية في مجال نشأة الأطفال لبلورة استراتيجية وطنية متكاملة؛ لبناء شخصية الأطفال وقدراتهم من المهد.

المصادر والمراجع:

أولًا – المصادر:

١. ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بن بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي ت٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر و القاهرة، القاهرة: دار الكتب المصرية. (د.ط)، (د.ت).

٢. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت٥٩٧هـ/١١٨٣م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرين. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط. ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٣. السيوطي (عبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ت٩١١هـ/١٥٠٥م): حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العلمية، ط١. ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٤. ابن عبد الحكم: (عبدالرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم ت٢٥٧هـ/ ٨٧٠م): فتوح مصر والمغرب. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ط. ١٤١٥هـ.

٥. ابن العماد الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العسكري الحنبلي ت١٠٨٩هـ/١٧٧٥م): شذرات الذهب في أخبار من

ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط. دمشق: دار ابن كثير، ط١. ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٦. ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية. تحقيق:علي شيري. دمشق. دار إحياء التراث العربي، ط١. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٧. المقري (شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني ت١٠٤١هـ/١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د إحسان عباس. بيروت: دار صادر، ط١. ١٩٦٨م.

٨. الواقدي (محمد بن عمر بن واقد السهمي المدني ت٢٠٧هـ/٨٢٢م): فتوح الشام، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١. ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ثانيًا – المراجع:

١. د. خليل إبراهيم السامرائي وآخرون: تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة. ط١. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢. أبو سعيد المصري: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي.

٣. محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانكي، ط٤. ١٤١٧/١٩٩٧م.

٤. محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، القاهرة: عالم الكتب، د.ط. ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.